مجلة *جامعة الملك عبدالعزيز:* الآداب والعلوم الانسانية، م٢٧ع١ ص ص: ١- ٣١ (٢٠١٩م)
DOI:10.4197/Art.27-1.1

الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان

د.علي محمد إبراهيم شهاب

أستاذ الكتاب والسنة المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية العلوم والآداب ببلقرن-جامعة بيشة

مستخلص. الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فموضوع البحث هو **الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان**، وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه إلى: مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس بالموضوعات. والدراسة تهدف إلى توضيح أساليب القرآن الحكيم ودورها في بناء عقل الإنسان وسلامته.

المقدمة

الحمدلله نحمده ونستهينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصلى الله على أشرف خلقه، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد.

فإن الناظر في القرآن الكريم سيلحظ دعوته المتكررة لإعمال النظر والتفكير، وقد كان لهذه الدعوة - ومثيلاتها- أثرها الكبير في بناء عقل الإنسان وسلامته، قال تعالى:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (١).

لقد نزل القرآن الكريم في فترة عصيبة، كانت فيها البشرية تتخبط في ظلمات الخرافة والجهل،

(١) سورة ص،آية:٢٩.

فالعرب حينها لم يؤمنوا بدين سماوي، والشرك بالله كان سائداً بينهم، وما زال الشرك يقوى فيهم حتى أصبح الذين يميزون بين الآلهة والوسطاء شواذ في الأمة، يقول أبو رجاء العطاردي:" كُنَّا نَعْبُدُ الحَجَرَ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجَرًا هُوَ أَخْيَرُ مِنْهُ أَلْقَيْنَاهُ، وَأَخَذْنَا الآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجَرًا جَمَعْنَا جُثْوَةً مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَاهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُفْنَا بِهِ..." [(١)].

ولم تلبث النصرانية هي الأخرى حتى انحرفت عن مسارها السماوي، وذلك عندما سلك بها الرومان مسالكهم الوثنية، فقالوا بتعدد الآلهة، وظهرت فكرة تجمع الآلهة الثلاثة في واحد، ثم صارت شيئاً فشيئاً هي العقيدة النصرانية المعتمدة في الكنيسة.

واستمر الوضع على ذلك حتى نزلت دعوة الحق على الرسول محمد –عليه الصلاة والسلام– في عام(٦١٠م) [(٢)]؛ تدعو لقيم ومبادئ واضحة تنسجم مع فطرة التوحيد التي أودعها المولى عز وجل في الإنسان، ولأنها دعوة الحق فهي لا تخشى شيئاً، ولذا جاء الأمر بالقراءة في أول ما نزل من الوحي[(٣)]، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[(٤)]، ومعلوم أن القراءة هي البوابة الرئيسة للعلم، ويستطيع الإنسان من خلالها أن يقف على حقائق الأمور ومعرفتها، وبالتالي يكون دخوله للإسلام دخولا صحيحاً سليماً.

لقد كان لدعوة القرآن الكريم المتكررة للتعقل والتفكر والتذكر؛ بالغ الأثر في فكر علماء المسلمين الذين تركوا لنا سلطاناً ومجداً، فأبدعوا في الابتكار والتطوير والتجديد، وكان القرآن الكريم – بالإضافة إلى عمليات التعقل التي يطلبها من الإنسان– يمدهم بأجوبة نوعية تتعلق بالإله والإنسان والحياة والمبدأ والمصير.

وقد ارتضت حكمة القرآن من الإنسان ذلك حتى يكون له دور متبصر، فيقوم بواجب الاستخلاف في الأرض، ومعلوم أن طبيعة الحياة في تطور مستمر، ومن غير اللائق أن يقف الإنسان فيها موقف المتفرج؛ لا سيما أن القرآن الكريم قد أسس لبناء عقلية منفتحة ترحب بالاجتهاد ضمن ضوابط محددة[(٥)]، وهو إلى ذلك يذم التقليد والمقلدين الذين يجعلون عقولهم رهينة لعادات ألفوها، أو مسلَّمات ورثوها عن الآباء والأجداد دون أي مستند أو دليل، والقرآن عندما يأمر بالتجاوب مع معطيات الحياة المتجددة، واكتشاف سنن الله تعالى في الخلق فإنه بذلك يفتح باباً للعقل، يرفده بالجديد، يقول

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير(بيروت: دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ)، ح٤٣٧٦، كتاب المغازي، باب: وفد بني حنيفة،١٧١/٥.

(٢) انظر: المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم (بيروت: دار الهلال، ١٤٢٧هـ)، صـ٥٦.

(٣) بدليل حديث بدء الوحي، وفيه: (فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ) فرجع بها رسول الله صلّى الله عليه وسلم ترجف بوادره إلى أن قالت: ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي، انظر:صحيح البخاري،١٧٣/٦.

(٤) سورة العلق، آية:١-٥.

(٥) قال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»، البخاري، مرجع سابق، كتاب الاعتصام، باب: الكتاب والسنة، ١٠٨/٩.

تعـالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾(١). (٢)

ولا شك أن الوقوف على تلك الدعوات التي يتناولها القرآن من الأمور البالغة الأهمية، لأنها تعين على معرفة أسباب تميز المسلم في شخصيته، بالإضافة إلى الوقوف على أساليب القرآن وطريقته في بناء عقل الإنسان، كما أنها تؤسس لنشر فكر ثقافي وحضاري صحيح في المجتمعات المسلمة، إلى غير ذلك من الفوائد.

وفكرة البحث قائمة على إبراز الأسلوب القرآني ودوره الحكيم في رحلة البناء والتشييد لهذا المخلوق العظيم، وهذا مما يزيد البحث أهمية، وأحسب أن الموضوعات التي يتناولها هذا البحث لم تبحث بشكل كافٍ، كما هو الحال في الدراسات والأبحاث الأكاديمية، حيث الاستقراء والتدقيق، والاستشهاد بالحجج والبراهين، وقد آثرت أن يكون البحث بعنوان :(الأسلوب القرآني الحكيم ودوره في بناء عقل الإنسان).

- **أهمية الدراسة:**

بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه في المقدمة، فهناك نقاط أخرى تبين أهمية الموضوع وأسباب اختياره، من أهمها:

١- إبراز القيم والمبادي الإسلامية من خلال الوقوف على آيات القرآن الحكيم.

٢- المقارنة بين نظرة القرآن للعقل، ونظرة أصحاب الملل الأخرى له، وإن كان ذلك بطريقة غير مباشرة.

- **أهداف الدراسة:**

تسعى الدراسة للكشف عن الموضوعات الآتية:

١- إبراز المآثر التي سوف تجنيها البشرية حال التزامها بمنهج القرآن الكريم.

٢- إظهار إسهامات الوحي المتنوعة والشاملة حتى لأدق الموضوعات، كموضوعنا هذا.

٣- إيضاح دور أساليب القرآن في بناء عقل الإنسان وسلامته.

- **الدراسات السابقة:**

من خلال البحث في قاعدة الرسائل الجامعية الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وغيرها من المواقع الالكترونية، فإني لم أقف على دراسة أكاديمية تبحث في هذا الموضوع بشكل خاص، والله أعلم.

- **حدود البحث:**

سيكون حدُّ البحث مقتصراً على أساليب القرآن الحكيم و دورها في بناء عقل الإنسان وسلامته، وسوف يشتمل البحث بالضرورة على بيان معاني الحكمة في اللغة العربية – لغة القرآن الكريم– ومعاني بعض مرادفاتها، بالإضافة لمعنى العقل، وغيرها من الموضوعات الفرعية.

---

(١) سورة العنكبوت، آية:٢٠.

(٢) انظر: عبدالكريم بكار، تجدد الوعي،ط٣ (دمشق: دار القلم،٢٠١٠م)، صـ١٤٧- ١٥٨"بتصرف".

وهو مرتب على النحو التالي:

المقدمــة: عرّفت فيهـا بالموضـوع وأهميتـه، وأسـباب عنايتي به.

المبحـث الأول: نظـرة القرآن الحكـيم للإنسـان، وفيـه مطلبان:

المطلـــب الأول: التعريــف بنظــرة القــرآن للدور المنتظر من الإنسان.

المطلـب الثـاني: بيـان معـانى الحكمـة فـي اللغة، وبعض ما جاء من معانيها في كـلام العلماء والمفسرين.

المبحـــث الثـــاني: العقـل فــي القـرآن الكـريم، وفيــه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف العقل.

المطلب الثاني: وظيفة العقل عند الإنسان.

المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في رحلة بناء عقل الإنسان، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المراد بالأسلوب القرآني.

المطلب الثـاني: أسلوب الحث والتعزيـز فـي رحلة بناء العقل.

المطلب الثالث: أسلوب النهي والتحقير في رحلة بناء العقل.

المبحث الرابع: أثر القرآن الكريم فـي عقل الإنسان وسلامته.

الخاتمة: فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

ثبت المصادر والمراجع.

- **منهج الدراسة:**

استلزم موضوع البحث سلوك العديد من المناهج، منها:

١- المنهج الاستقرائي: القائم على جمع النصوص.

٢- المنهج التحليلي: القائم على تحليل بعض النظريات، والكشف عن دلالة الآيات القرآنية وآثارها المعرفية.

٣- المنهج النقدي: من خلال نقد المصادر والمناهج التي تتعارض مع نهج السلف في فهم النصوص والاستدلال.

٤- المنهج المقارن: من خلال المقارنة بين أسلوب القرآن وطريقته في البناء، مع باقي الأساليب والنظريات الفلسفية الأخرى.

- **إجراءات الدراسة:**

وقد التزمت في كتابته ما يلي:

١-كتبت الآيات حسب الرسم العثماني.

٢-عزوت الآيات إلى سورها، ذاكراً اسم السورة ورقم الآية.

٣-خرَّجت الأحاديث، مكتفياً بالصحيحين أو بأحدهما إن كان الحديث فيهما، فإن لم يكن خرَّجته باختصار.

٤-عزوت الأقوال إلى أصحابها ووثقتها من كتب أصحابها، فإن لم أستطع وثقتها من المصادر والمراجع الأخرى.

٥- ذكرت تفاصيل المصادر والمراجع في ثبت مستقل في آخر البحث.

وبكل حال فإنني لا أدعي الإحاطة بكتابتي في هذا الموضوع ولا شمول البحث فيه، لما يعتريني من النقص والقصور، ثم لتشعب الموضوع وسعته.

هذا.. وإني أسأل الله العليّ القدير أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، وأن يكون من العلوم التي ينتفع بها، والله وليّ التوفيق.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم...

المبحث الأول: نظرة القرآن الحكيم للإنسان.

المطلب الأول: التعريف بنظرة القرآن للدور المنتظر من الإنسان:

يقول المولى عز وجل في محكم التنزيل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[(١)].

إن الإنسان هو الكائن المعجز في خلقه، المكرم[(٢)] في أصل نشأته؛ خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته[(٣)]، واستخلفه في أرضه[(٤)]، ومنحه القدرة، والعلم، والحياة، والإرادة، حتى يكون سبباً في بناء الأرض، وانتشار ذريته في أرجاء المعمورة بالتطور والتقدّم، وكلما ارتقى الإنسان في سلم المعارف، زاد نفعه، وكثر خيره، وعمت بركته، لا سيما إن كان نصيبه من المعرفة قد ارتقى إلى خالقه وسيده ومولاه.

قال الدكتور خليل: (إننا حيثما تنقلنا في أرجاء القرآن الفسيحة لمطالعة الآيات والمقاطع الخاصة بخلق الكون وتهيئة الظروف الصالحة للحياة على الأرض، وتمعنا فيها، وجدناها ترتبط ارتباطاً عضوياً أصيلاً بالدور المنتظر الذي بعث الإنسان لكي يلعبه، وبالقصد والجدوى والنظام والإعمار والغاية التي بعث من أجلها، وهي كلها قواعد أساسية لأي نشاط فعّال هادف منظم متطور على الأرض...)[(٥)].

والمسلم يدرك حقيقة التسخير، وهو مطالب بأن يتعامل مع الأرض التي يسكنها انطلاقاً من كونه خليفة الله في أرضه، فهي مجاله، وهي بيئته التي خلقها المولى عز وجلّ من أجله، وإن جمالها وعطاءها لن يتجلّى إلا إذا أعمل فيها الإنسان عقله[(٦)]، قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى

(١) سورة فصلت، آية: ٥٣.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، سورة الأسراء، آية: ٧٠ .

(٣) قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾، سورة ص: ٧١-٧٥.

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة البقرة: ٣٠.

(٥) انظر: د. عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط٣(بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١م)صـ١٧٦.

(٦) وقد ارتبط بناء الأرض وعمارتها في فكر المسلمين وثقافتهم بالإيمان بالله، حيث قال عليه الصلاة والسلام:(الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إلا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾(١) قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾(٣)، ولم تقتصر الآيات القرآنية على ذكر الدور الذي ينتظر الإنسان على الأرض، حتى طالبته بالإتقان والإحسان، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾(٤)، وقال تعالى:أ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(٥)، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾(٦)، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴾(٧)، وهذه الآيات تستحث يقظة الإنسان حتى يفطن للدور الذي ينتظره، فهو في دار ابتلاء واختبار، وهذه الدار تتطلب منه عملاً وإبداعاً.

والمولى الكريم ميز الإنسان بأدوات العلم والمعرفة، وذلك حتى يقوم بواجبه على أتم وجه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾(٨)، والمعنى ثم استخلفناكم في الأرض من بعد إهلاكِ أولئك القرونِ التي تسمعون أخبارَها وتشاهدون آثارها استخلاف من يَختبر(٩).

المطلب الثاني: بيان معانى الحكمة في اللغة، وبعض ما جاء من معانيها في كلام العلماء والمفسرين.

الحاء والكاف والميم أصلٌ واحد، وهو المنْع، وأوّل ذلك الحُكْم، وهو المَنْع من الظُّلْم، وسمِّيَتْ حَكَمة الدابّة لأنها تمنعُها يقال حَكَمْت الدابةَ وأحْكَمتها، ويقال: حكَمت السَّفيهَ وأحكمتُه إذا أخذتَ على يديه ومنعته عن الفساد، قال الشاعر:

الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ...)، انظر: صحيح مسلم، ح٣٥، كتاب الإيمان، باب: شعب الإيمان،٦٣/١، وفي الحديث أيضاً-: (لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ)، انظر: صحيح البخاري،،ح٢٣٩،كتاب الوضوء، باب: البول في الماء الدائم،٥٧/١،وفي مسلم برقم(٢٨٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ، قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ)، انظر: صحيح مسلم،ح٢٦٩،كتاب الطهارة، باب: النهي من التخلي في الطرق،والظلال،٢٢٦/١، ونصوص الوحي تطلب من الإنسان المحافظة على الأرض حتى آخر رمق من حياتهم، يقول–عليه الصلاة والسلام- :(إنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ)، مسندأحمد،ح١٢٩٨١،٢٩٦/٢٠، وقال عليه الصلاة والسلام:(مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إلا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَة)، انظر: صحيح البخاري،ح٢٣٢٠،كتاب المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه،١٠٣/٣،وصحيح مسلم، مرجع سابق،ح١٥٥٣،كتاب المساقاة، باب: فضل الغرس والزرع،١١٨٩/٣.

(١) سورة لقمان،آية:٢٠.

(٢) سورة إبراهيم،آية:٣٢،٣٣.

(٣) سورة النحل،آية:١٤.

(٤) سورة هود، آية:٧.

(٥) سورة يونس:آية:٣.

(٦) سورة يونس،آية:٥.

(٧) سورة الأسراء،آية:١٢.

(٨) سورة يونس، آية:١٤.

(٩) العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،(بيروت: دار إحياء التراث، بدون)،١٢٧/٤.

أبَنِي حَنيفة أحْكِمُوا سُفهاءَكم * إنّي أخاف عليكمُ أن أغْضَبَا**[١]

والحِكمة هذا قياسُها، لأنها تمنع من الجهل، وتقول: حكَّمت فلاناً تحكيماً منعتُه عمّا يريد، وحُكِّم فلانٌ في كذا، إذا جُعل أمرُه إليه، والمحكَّم: المجرّب المنسوب إلى الحكمة، قال طرفة:

ليت المحكَّمَ والموعوظَ صَوْتَكُما * تحتَ التُّرَاب إذا ما الباطلُ انكشَفَا**[٢]

والحِكْمَةُ، بالكَسْر: العَدْلُ في القَضاءِ كالحُكْمِ، و الحِكْمَةُ: العِلْمُ بحَقائق الأَشْياءِ على ما هي عَلَيْه، والعَمَلُ بمُقتضاها.

وقال الجوهريّ : الحُكْمُ : الحِكْمَة من العِلْم، والحَكِيمُ: العالِمُ، وصاحِبُ الحِكْمَة، وقد حَكُمَ كَكَرُم: صار حَكِيمًا، قال النَّمِر بنُ تَوْلَب:

وَأَبْغِضْ بَغِيضَك بُغْضًا رُوَيْدًا * إذا أَنْتَ حاوَلْتَ أَنْ تَحْكُما**[٣]

والحُكْمُ العِلْمُ والفقه، قال الله تعالى:﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾[٤]، وقال تعالى:﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[٥]، وقال تعالى:﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[٦]، ولذا جاءت الحكمة بمعنى النبوة، والرسالة، والقرآن، والتوراة، والإنجيل، وقد جاءت بمعنى الحِلْم، وهو ضبط النفس والطَّبع عن هيجان الغضب، وهذا المعنى قريب من معنى العدل، كما تُطلق الحكمة على الورع والإصابة ، والتَّفكُّر في أمر الله واتِّباعه، والحكمة من الله: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام. [٧]

وعند التأمل والتدقيق في معاني الحكمة نجد أنها تدور حول المنع، فالعلم يمنع صاحبه من الوقوع في الجهل، والعدل يمنع صاحبه من الوقوع في الظلم، والحلم يمنع صاحبه من التسرع والغضب[٨]، وهذا ما يفسر موقف الإسلام الحاسم من المعاصي والآثام.

قال الشيخ الشنقيطي: (والتحقيق أن الله يشرع الأحكام من أجل حكم باهرة ومصالح عظيمة، ولكن المصلحة في جميع ذلك راجعة إلى المخلوقين الذين هم في غاية الفقر والحاجة إلى ما يشرعه لهم خالقهم من الحكم والمصالح وهو جل وعلا غني لذاته الغني

---

(١) قاله جرير لبني حنيفة، وكان ميلهم مع الفرزدق، انظر: الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد،ط٥ (بدون: دار الجيل،١٩٨١م)، ١٦٨/٢.

(٢) أراد بالمحكَّم الشيخَ المنسوبَ إلى الحكمة، انظر: أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون(بيروت: دار الفكر،١٩٧٩م) ،٩١/٢، ومحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط٣،(بيروت: دار صادر،١٤١٤ه)،١٤٣/١٢، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (بدون: دار الهداية، بدون)،٥١٦/٣١.

(٣) أي: إذا حاوَلْت أن تكون حَكِيمًا، انظر: ابن منظور، مرجع سابق ،١٤٠/١٢، والزبيدي، مرجع سابق،٥٢١/٣١.

(٤) سورة مريم،آية:١٢.

(٥) سورة آل عمران،آية:٤٨.

(٦) سورة البقرة،آية:٢٥١.

(٧) انظر: أحمد بن فارس، المرجع السابق،٩١/٢، ومجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م)،٤١٩/١، ومحمد بن مكرم بن علي، وابن منظور، مرجع سابق،١٠٤/١٢، والزبيدي، مرجع سابق، تحقيق،٥٢١/٣١.

(٨) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى(الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،١٤٢٣هـ)،٢٤/١.

المطلق سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله)[١].

وفسر الشيخ عبد الرحمن السعدي المراد من الحكمة، فقال: (هي العلوم النافعة والمعارف الصائبة، والعقول المسددة، والألباب الرزينة، وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال، ثم قال: وجميع الأمور لا تصلح إلا بالحكمة، التي هي: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيل الأمور منازلها، والإقدام في محل الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام) [٢].

ونخلص من ذلك إلى أن الحكمة تعني القصد والاعتدال، وإدراك العلل[٣] والغايات، وهذا لا يكون إلا صبر طويل، ومجاهدة للنفس، يقول تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٤]، ولعل من الملاحظ جداً هذا التذييل الذي خُتمت به الآية الكريمة؛ جعلني الله وإياكم من أُولي الألباب المؤيَّدين بالحكمة وفصل الخطاب.

المبحث الثاني: العقل في القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف العقل.

العقل في اللغة: قال الراغب الأصفهاني: وأصل العَقْل: الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعِقَال، وعَقْل الدّواء البطن، وعَقَلَتِ المرأة شعرها، وعَقَلَ لسانه: كفّه[٥]، وهنا نلاحظ اشتراك العقل والحكمة في أصل إرادة المنع.

أما التعبير القرآني للعقل، فقد جاء مجرداً من أل التَّعريف بمعنى التعقل[٦]، والذي يشير بدوره إلى الوظيفة العملية للعقل، ويمكن حصر هذه الأفعال على النحو التالي:

أ- ورد بصيغة (عَقَلُوه) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٧].

ب- ورد بصيغة (تَعْقِلُون) في أربعٍ وعشرين موضعًا في القرآن، منها قوله تعالى:﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٨]، وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ

---

(١) الشنقيطي، محمد الأمين بن المختار، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر، ٢٥٦/١.

(٢) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق (بدون: مؤسسة الرسالة،٢٠٠٠م)٩٥٧/١.

(٣) والسلف الصالح – رحمهم الله تعالى- لا يختلفون في تعليل أحكام الله، فهي معللة بجلب المصالح، ودرء المفاسد، يقول ابن القيم: وجمهور الأمة يثبت حكمته سبحانه والغايات المحمودة في أفعاله فليس مع النفاة سمع ولا عقل ولا إجماع بل السمع والعقل والإجماع والفطرة تشهد ببطلان قولهم، والله الموفق للصواب وجماع ذلك إن كمال الرب تعالى وجلاله، وحكمته، وعدله، ورحمته، وقدرته، وإحسانه ، وحمده، ومجده، وحقائق أسمائه الحسنى تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة ولا لغاية مطلوبة، وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك وتشهد ببطلانه)،انظر: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي،(بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨)، /٢٠٤.

(٤) سورة البقرة، آية:٢٦٩.

(٥) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي،(دمشق، بيروت: دار القلم، والدار الشامية،١٤١٢هـ)٥٧٨/١.

(٦) وتكرر ذلك في القرآن الكريم في تسعة وأربعين موضعاً، انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، (القاهرة: دار الحديث،٢٠٠٧م)،صـ٥٧٥.

(٧) سورة البقرة، آية رقم:٧٥.

(٨) سورة البقرة، آية رقم:٤٤.

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢).

ج- ورد بصيغة (نعْقِل) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٣).

د- ورد بصيغة (يَعْقِلُها) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾(٤).

ه- ورد بصيغة (يَعْقِلُون) في اثنين وعشرين موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٥)، **وقوله تعالى:** ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(٦).

وقد عبَّر المولى سبحانه وتعالى عن التعقل بألفاظ أخرى(٧)، وكان من اللافت للنظر أن ينسب القرآن العقل إلى القلب(٨) وليس إلى الرأس ولا إلى جزء منه، كما هو مشاع في أوساط المدارس الفلسفية الغربية، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾(٩)، **يقول الفخر الرازي: فيه دلالة على أنَّ القلب آلة لهذا التَّعقُّل، فوجب جعل القلب محلاً للتعقل) (١٠)، كما جاء التأكيد على جهة القلب في الآية ذاتها، بقوله: ُجِ لِح خَّ فلا يقبل بعدها تأويل.**

وعلى أساس ذلك عرَّف الشنقيطي العقل، فقال: (هو نور روحاني تُدرِك به النفس العلوم النظرية والضَّرورية، وأن من خلقه وأبرزه من العدم إلى الوجود، وزين به العقلاء وأكرمهم به أعلم بمكانه الذي جعله فيه من جملة الفلاسفة الكفرة الخالية قلوبهم من نور سماويٍّ وتعليم إلهيٍّ) (١١)، ثم قال في

(١) سورة البقرة، آية رقم:٢٤٢.
(٢) سورة يوسف، آية رقم:٢.
(٣) سورة الملك، آية رقم:١٠.
(٤) سورة العنكبوت، آية رقم:٤٣.
(٥) سورة البقرة،آية:١٦٤.
(٦) سورة البقرة،آية:١٧٠.
(٧) كالحِجْر، وأُولي النُّهَى، وأُولِي الألْبَاب.
(٨) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ انظر: سورة الأعراف،آية:١٧٩، وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾، انظر: سورة الشعراء٨٨-٨٩، وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ انظر: سورة البقرة،آية:٧، وقال سبحانه :﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾انظر: سورة ق، آية:٣٧، وقال:﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ انظر: سورة الجاثية، آية:٢٣، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ انظر سورة محمد،آية:٢٤، وكان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول:(يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ) ، قال أنس رضي الله عنه، فقلنا يا رسول الله آمنّا بك وبما جِئْتَ بِهِ ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ : فَقَالَ : (نَعَمْ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا)، انظر: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف،(بيروت: دار المغرب ،١٩٩٨م)ح٢١٤٠،أبواب القدر، باب: ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن،١٦/٤، وحسنه الترمذي.
(٩) سورة الحج، آية:٤٦.
(١٠) الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب، ط٣(بيروت: دار إحياء التراث،١٤٢٠هـ)،٢٣٤/٢٣.
(١١) منقول من كلام الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، تحقيق: خالد السبت،ط٢(مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ،١٤٢٦هـ)،١٥٩/١، ومجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي،(الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،٢٠٠٧م)٨٦/١.

موضع آخر: (والله عز وجل لم يكذب اليهود عندما نسبوا العقل إلى القلب، فقالوا: قُلُوبُنَا غُلْفٌ بسكون اللَّام يعنون: أنَّ عليها غلافًا، أي: غشاءً يمنعها من فهم ما تقول؛ فأقرهم اللهُ على أنَّ قلوبهم هي محل الفهم والإدراك؛ لأنها محلُّ العقل، ولكن كذَّبهم في ادِّعائهم أنَّ عليها غلافًا مانعًا لها من الفهم، فقال – على سبيل الإضراب الإبطالي، فقال سبحانه: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]، كما أن المشركين كانوا يعلمون أيضاً بأن محلَّ العقل القلب، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾[2]، ولم يُكذِّبهم الله في ذلك، ولكنه وبَّخهم على كفرهم، فقال: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [3] [4].

المطلب الثاني: وظيفة العقل عند الإنسان:

لقد بالغ فلاسفة اليونان في تقديس العقل حتى جعلوه حَكَماً على الشريعة، فكل ما وافق عليه العقل فهو من الشريعة، وكل ما خالف العقل – بتصورهم – لا يعد من الشريعة، وتبعهم في ذلك بعض المتأثرين بتلك المدارس، كالفارابي وغيره، والصواب أن العقل ما هو إلا وسيلة لفهم الوحي (القرآن الكريم والسنة النبوية)، ولا تعارض في ذلك بين العقل والنقل بل هو توافق وتناغم وانسجام، يقول الدكتور راجح كردي:(وهذه ميزة القرآن الكريم على غيره فيما يتعلق بمصادر المعرفة، فالقرآن يأخذ على المذاهب البشرية انشطاريتّها في تحديد طريق المعرفة، فيأخذ على التجريبيين حصرهم لطرق المعرفة بالحواس واعتبارهم العقل حساً أو انعكاساً لأثر الحواس، كما يأخذ على العقليين تطرفهم في تقديس العقل وتجاوزهم في تقدير دوره في المعرفة، فالقرآن لا يؤيد فكرة الصراع بين الحس والعقل، بل يجعلهما منسجمين انسجام الفطرة الإنسانية المخلوقة بإحكام وتكامل فيما بين أجزائها) [5].

وبنفس هذا التوافق والانسجام في العلوم والمعارف، يكون التوافق والانسجام بين سائر أعضاء الإنسان[6]، والمحصلة في نهاية الأمر واحدة، حيث الألوهية المطلقة لله تعالى.

والقرآن يمضي قدما في تقرير ذلك، فتجده يذكر هذا التوافق والانسجام فيما هو أبعد من ذلك، حيث الكون بما فيه من أجرام وأفلاك مع صديقه الإنسان،حيث يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا

(١) سورة النساء،آية:١٥٥.

(٢) سورة فصلت،آية:٥.

(٣) سورة فصلت،آية:٩.

(٤) انظر: الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات،(بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر،١٩٩٥م)، ٢٧٥/٥، وكتاب: مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، مرجع سابق ،٩٤/١، بتصرف.

(٥) راجح عبدالحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، (الرياض: دار الفرقان للنشر والتوزيع،٢٠٠٤م)، ٦٢٥/٢.

(٦) ويمكن أن نستأنس في ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام:(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)، انظر: صحيح مسلم، مرجع سابق،ح٤٦٨٥ ،كتاب:البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاضدهم،٤٦٨/١٢.

لَكُمُ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴾[١].

المبحث الثالث: الأسلوب القرآني في رحلة بناء عقل الإنسان.

المطلب الأول: المراد بالأسلوب القرآني:

ويطلق الأسلوب في اللغة على الطريق الممتدة، ويقال للسطر من النخيل أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، والأسلوب الفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه، وفي اصطلاح البلاغيين: هو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير، أو هو العبارات.[٢]

فالأسلوب القرآني: هو طريقته في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، ولهذا الأسلوب القرآني خصائصه الفنية، وسماته البلاغية، ولطائفه اللغوية، وسوانحه العقلية، وتأثيره الخاص في النفوس السوية، وفي النفوس الجامحة أيضًا، وله جمال يعرف ولا يوصف، قال تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾[٣]، فمهما قيل فيه فهو أسمى وأرفع من أن تحيط بكنهه العقول، أو تعبّر عنه ألسنة المتكلِّمين أو أقلام الكاتبين.[٤]

المطلب الثاني: أسلوب الحثِّ والتعزيز في رحلة بناء العقل:

١- التأكيد على إعمال العقل في قضايا الخلق؛ منها:

أ- الكون والآفاق: قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٥]، والقرآن في هذه الآيات يقدم نموذجا عظيماً من الخلق، ففي السموات والأرض من مظاهر القدرة والإبداع ما يدهش الإنسان، وربما تخللت آيات الكون أسئلة دقيقة تدعو إلى التحليل، والمقارنة، وبعضها يستحث العقل للاستنباط والاستنتاج[٦]، ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ٣٠ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ٣١ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سورة إبراهيم،آية:٣٢.

(٢) انظر: د مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ط٣(دمشق: دار القلم،٢٠٠٥م)، ١٤٣/١-١٤٤.

(٣) سورة الجن، من آية:١-٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ودكتور محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ط٢(بدون: دار المنار،١٩٩٩م)،٣٢٧/١،"بتصرف".

(٥) سورة آل عمرآن،آية:١٩٠-١٩١.

(٦) وهذه الدراسات التنموية والفكرية بطبيعة الحال بحاجة إلى مراصد بحثية، وأجهزة تقنية، وتحتاج إلى معامل وأدوات للتنقيب، والبحث والتحليل، وغيرها من الأمور التي من شأنها أن تحقق معاني استخلاف الإنسان في الأرض.

(٧) سورة الأنبياء،آية٣٠-٣٣.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا﴾(١)، وقوله: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ٣٠ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ٣١ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾(٤)، وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾(٥).

كما أن هناك آيات أخرى قد استخدمت الاستبعاد لامتناع تصور ذلك بالعقل، حيث يقول تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٦)، **وقوله تعالى:** ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٧)، **وربما جاء التهديد الصريح لمن يغفل عن الفهم:** ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ﴾(٨).

ب- **الإنسان: وخلق الإنسان بحد ذاته عظة وعبرة، ومن أعظم الشواهد الدالة على عظيم خلق الله وبديع صنعه، قال تعالى:** ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾(٩)، **قال ابن العربي: (لِيَرى أنَّ البارئ تعالى لا يُقْدر على جحده لظهور آياته في أفعاله ... ولا يُحيط به لكبريائه وعظمته، فإذا وقف متفكراً في هذا ناداه الاعتبار)** (١٠)، **ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ

(١) سورة الإسراء، آية:٩٩.
(٢) سورة غافر، آية:٥٧- ٥٨.
(٣) سورة الأنبياء،آية:٣٠-٣٣.
(٤) سورة الرعد، آية: ٢.
(٥) سورة إبراهيم، آية: ٣٢.
(٦) سورة المؤمنون، آية: ٩٠.
(٧) سورة الأنبياء، آية:٢١- ٢٢.
(٨) سورة الأنعام، آية: ٦٥.
(٩) سورة الذاريات، آية: ٢١.
(١٠) أبوبكر محمد بن عبد الله ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر، بدون)،٢١٥/٣.

طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾[١]، وقال تعالى:﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٣].

٢- الحثُّ على العلم والعمل به:

يعتبر العلم والتعلم أساساً للدور الإنساني في هذه الحياة، وقد امتن المولى الكريم على البشرية بما هيأ لهم من أدوات وأسباب بعد أن كانوا صفراً في هذا الوجود، فقال سبحانه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٤].

كما رفع القرآن الكريم من مكانة أهل العلم إلى أعلى المناصب والرتب، حيث يقول: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٥]، كما قرن سبحانه شهادتهم بشهادته جلَّ جلاله، وشهادة الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام[٦]، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٧]، والنصوص في فضل العلم والتعلم في القرآن الكريم، وفي التراث الإسلامي متوافرة، ولعل القسم بالقلم، ونزول اقرأ في أول الوحي خير شاهد ودليل.

وبقدر ما جاء في نصوص الوحي من مدح للعلم والعلماء، كان الذم بأقبح الأوصاف لمن لا يُتبْع علمه بعمل، يقول تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٨]، وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٩]، وقال تعالى:﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١٠]، وملاحظ في هذا النوع من الآيات تذييلها بما يستحث العقل على التفكير.

٣- التشديد على الضبط والإتقان والجودة:

إن تربية نفس الإنسان وفكره على اتقان الأعمال وتجويدها من الأمور الهامة التي أكدت عليها نصوص الوحي، واعتنت بها عناية فائقة، فعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ

(١) سورة المؤمنون، آية:١٢-١٧.

(٢) سورة يس، آية:٦٨.

(٣) سورة القيامة، آية:٣٦-٤٠.

(٤) سورة الإنسان، آية:١-٣.

(٥) سورة المجادلة، آية:١١.

(٦) انظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة،ط٢(بدون: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م)، ٢٤/٢.

(٧) سورة آل عمرآن، آية:١٨.

(٨) سورة الأعراف، آية: ١٧٥- ١٧٦.

(٩) سورة الصف: ٢-٣.

(١٠) سورة البقرة، آية: ٤٤.

أَحَـدُكُمْ عَمَـلًا أَنْ يُتْقِنَـهُ) (١)، وقـد تكـررت المطالبـة بالتحسين والتجويد بألفاظ متنوعة، كالإتقان والإحسان والصـدق، وقـد ربـط الشـارع الحكـيم تلـك المعـاني والتعبيـرات بتقـوى الله، وأداء الأمانـة، يقـول تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٢)، والصـــدق فـــي هـــذه الآيـــة يشـــمل جميـــع الأقـــوال والأعمـــال، قـــال تعـــالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٣)، ورتب المولى سبحانه وتعالى على ذلك امتحـان الانسـان فـي هـذه الحيـاة، فقـال:﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾(٤).

وفي معنى الإحسان، يقول تعالى:﴿وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ على كل شَيْءٍ فإذا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وإذا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أحدكم شَفْرَتَهُ ولْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ) (٦).

والله سـبحانه وتعـالى يسـتحث فـي الإنسـان كذلك جانـب القدوة، وذلك عندما يـأمره بـالنظر إلـى بديع صنعه، فيبصر في خلق الرحمن أعلى درجات الإتقـان والجـودة، قـال تعـالى:﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾(٧)، وقـال تعـالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾(٨) أي: خلل ونقص، يقول السعدي في تفسيره: (وإذا انتفى النقص من كل وجه، صارت حسنة كاملة، متناسبة من كل وجه، في لونها وهيئتها وارتفاعهـا، ومـا فيهـا مـن الشـمس والقمـر والكواكـب النيرات، الثوابت منهن والسيارات، ولما كان كمالها معلومًا، أمر الله تعالى بتكرار النظر إليها والتأمل في أرجائهـا، قـال: ﴿ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ أي: أعـده إليهـا، نـاظرًا معتبـرًا ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي: نقـص واخـتلال، ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ المراد بذلك: كثرة التكرار ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ أي: عـاجزًا عـن أن يـرى خلـلا أو فطورًا، ولو حرص غاية الحرص) (٩).

﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾(١٠) الذي بدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لـه السمع والبصـر والفـؤاد، فخلقـه كلـه حسـن، والإنسـان مـن أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق(١١)، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(١٢).

٤- التشجيع على النظر والاجتهاد :

والمتأمل في آيات القرآن يجد أنها قد أجملت القول في أحكام المعاملات، وذلك لأن حاجة الناس إليهـا متجـددة فسـمحت بالاجتهـاد، ولكـن فـي إطـار

(١) أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين بن سليم أسـد، (دمشـق: دار المـأمون للتـراث، ١٩٨٤م)، ح٤٣٨٦، مسـند عاشة،٣٤٩/٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، الرياض: مكتبة المعارف (١١١٣)،١٠٦/٣.
(٢) سورة التوبة، آية: ١١٩.
(٣) سورة الأنعام، آية:١٦٢-١٦٣.
(٤) سورة الملك، آية:٢.
(٥) سورة البقرة، آية: ٩٥.
(٦) صحيح مسلم، مرجع سابق،ح١٩٥٥،كتاب الأيمان، باب: الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، ١٥٤٨/٣.
(٧) سورة النمل، آية: ٨٨.
(٨) سورة الملك، آية : ٣.
(٩) السعدي، مرجع سابق، سورة الملك،٨٧٥/١.
(١٠) سورة المؤمنون، آية:١٤.
(١١) المرجع السابق،٥٤٨/١.
(١٢) سورة التين،آية:٤.

قواعد الشرع الكلية ومقاصده، ولهذا جعلت الأصل في الشروط والعقود الإباحة، وقابلت أمور العقائد والعبادات التي فصلت فيها القول بالمنع والتوقيف، وهذا التمايز – بين القبول والمنع- من شأنه أن يضيف إلى عقل الإنسان الانفتاح المتزن بميزان الشرع، والوحي بذلك يربي في الإنسان جانب المرونة والتوسط والاعتدال، وعليه فإنه لا ينبغي للمسلم أن يقف موقف العداء من علوم الآخرين، وعليه أن ينظر في كل معلومة ترد إليه بنظرة فاحصة متأنية، وقد تعلمنا في تراثنا الإسلامي أن الحكمة ضالة المؤمن(١)، وسبق أن أخذ أبو هريرة –رضي الله عنه- معلومة من الشيطان، وأكد له النبي صلى الله عليه وسلم صحتها، فقال:(قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ) (٢)، كما أن الله سبحانه وتعالى يقول:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(٣)، قال جمال عبد العزيز: (ووجود هذا التمايز في فهم المسلمين

(١) وقد تراجع النبي صلى الله عليه وسلم عن النهي في أن يجامع الرجلُ امرأته وهي مرضعٌ بسبب تجربة الروم والفرس، حيث قال:(لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الغِيلَةِ حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ، وَفَارِسَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فَلاَ يَضُرُّ أَوْلاَدَهُمْ)، انظر: صحيح مسلم، مرجع سابق،ح١٤٢٢،كتاب النكاح، باب: جواز الغيلة، وهي وطء المرضع، وكراهة العزل،١٠٦٦/٢.

(٢) البخاري، مرجع سابق،ح٢٣١١،كتاب الجمعة، باب: ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ﴾ ،١٧/٦، وجاء فيها: (وَكَّلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَقَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ".

(٣) سورة الممتحنة، آية:٨.

الأوائل، هو الذي أدّى إلى سيادة الحضارة الإسلامية لقرون طويلة على العالم شرقيه وغربيه، بل ساهمت في بروز عصر النهضة الأوربية من خلال نزعة كرسها مفهوم عمارة الكون) (٤).

٥- العناية بفهم حقائق الأشياء وجواهرها:

لقد فطر المولى عز وجل الإنسان على محبة الحق والوقوف إلى جانبه، إلا أن الحقَّ عصيٌّ على من لا يبذل في سبيل تحصيله الجهد المطلوب، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾(٥).

لقد أشاد القرآن الكريم بالموقف الشجاع لامرأة العزيز عندما قررت قول الحقيقة، فقال سبحانه: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٦)، هكذا بكل بساطة ويسر دون الحاجة إلى الجلوس على كرسي للاعتراف، فالمقصود أن يرى المولى عز وجل من نفس هذا الإنسان الصدق، والانكسار بين يديه؛ مبتعدا عن الهوى، والتعصب، وطلب العزة بالإثم، ولذا جاء في الحديث:(إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) (٧)، وفي

(٤) جمال عبد العزيز، مصدرية القرآن والسنة للمعرفة، والإحالة على كتاب: مصادر المعرفة للدكتور جمال عبد العزيز شريف والبروفسير عبد الله محمد الأمين النعيم، ص١٢،على الرابط: https://vb.tafsir.net/tafsir16002/#post78798.

(٥) سورة العصر ١-٣.

(٦) سورة يوسف،آية:٥٣-٥١.

(٧) صحيح مسلم، ح (٤٦٥١)،كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله،٤٢٧/١٢.

موضع آخر: (رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ) [(١)]، وما زال القرآن الكريم يُنمي في نفوس أتباعه الجانب الرقابي، فقال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[(٢)]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[(٣)]، حتى أسهم ذلك في استشعار حجم المسؤولية، وعليه فلا مناص للمسلم من البحث عن الحقيقة والوقوف إلى جانبها، حتى يصدق على الإنسان مسمى الإسلام.

كما أمر المولى سبحانه وتعالى بأن يكون ميزان الحق والعدل هو الحكم بين العباد، فقال سبحانه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[(٤)]، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي في نفوس أصحابه الوقوف على حقائق الأشياء بالأدلة المحسوسة، فيقول: (لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ)[(٥)]، كما كان عليه الصلاة والسلام يشيد بأصحاب المعرفة، لأنهم وقفوا عليها بأنفسهم، فأصبحوا من أهل الاختصاص والتجربة، ولذا قال عليه الصلاة والسلام في قصة تأبير النخل:(أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ)[(٦)]، وأصل دعوة العقل للعمل بالتجربة، والحث على الملاحظة، والدقة، والمراقبة هو القرآن الكريم، ومثاله على النحو التالي:

أ- استخدام القرآن الكريم لأسلوب الاستجواب العقلي، وهذا الأسلوب يهدف إلى استثارة القوى العقلية[(٧)]، لأجل تقرير حقيقة الألوهية، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[(٨)]، وقال سبحانه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾[(٩)]. كما أن القرآن الكريم قد ذكر لنا الردّ على سؤال موسى عليه السلام؛ عندما طلب رؤية خالقه وسيده ومولاه، فأرشده الله تعالى إلى النظر لملاحظة التغيّر الذي سيطرأ على الجبل، حالة تجلي الله سبحانه له، ومنه يصل المرء إلى

(١) المرجع السابق، ح(٤٧٥٤)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الضعفاء،٦٠/١٣.

(٢) سورة ق، آية:١٨.

(٣) سورة الزلزلة،آية:٧-٨.

(٤) سورة ص،آية:٢٦.

(٥) مسند الإمام أحمد، ح(١٨٤٢)، من حديث ابن عباس، وصححه الأرنؤوط في طبعة مؤسسة الرسالة (١٨١٤).

(٦) صحيح مسلم، ح(٦٢٧٧)،كتاب الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا،٩٥/٧.

(٧) انظر: د.أحمد محمد حسين الدعشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية (دمشق: دار الفكر،٢٠٠١م)، صـ٢٤٩،"بتصرف".

(٨) سورة الزخرف،آية:٩-١١.

(٩) سورة المؤمنون:آية:٨٤-٨٩.

حقيقة تتصل بالخالق، وهي استحالة رؤيته في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(١)، كما جاء الدليل من القرآن الكريم باستخدامه للتجربة العملية في ردوده، وذلك حتى يقف الإنسان على النتيجة بنفسه، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾(٢).(٣)

ب- التثبت من المعلومة قبل النقل، والقرآن الكريم قد أشاد بالموقف النبيل لأبي أيوب الأنصاري وزوجه، وذلك عندما أنزلا نفسهما مكان المتهم في الحادثة التي وصفها القرآن الكريم بالإفك، قال تعالى: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾(٤)، أي فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته(٥)، ولأنهما كانا يتمتعان بقلب سليم ، وفكر ناقد؛ لم تمر عليهما كذبة المنافقين، وفي هذه الآية توجيه عظيم للمؤمنين، ودرس كبير ينبغي الإفادة منه.

ونصوص الوحي دعت بصفة عامة إلى التثبت في نقل الأخبار، وضبطها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾(٦)، وجاء في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم: (نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ) (٧) وفي رواية: (نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا حَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ)(٨)، وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يشدد على الناس في مسألة التثبت، فيقول:(كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) (٩)، كما كان عليه الصلاة والسلام يحرك في أصحابه جانب التعقل للوقوف على حقائق الأشياء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: (أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ! فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَا أَلْوَانُهَا؟ قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَّى ذَلِكَ؟ قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ) (١٠)، فهنا يُوقف

(١) سورة الأعراف،آية:١٣.
(٢) سورة البقرة،آية:٢٦٠.
(٣) انظر: المرعشي، المرجع السابق، صـ٢١٩- ٢٢٠."بتصرف".
(٤) سورة النور،آية:١٢.
(٥) انظر: إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، مسند إسحاق، تحقيق: د.عبدالغفور البلوشي(المدينة المنورة: مكتبة الإيمان، بدون)،٩٧٨/٣،و عمر ابن شبَّة، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم شلتوت(جدة:بدون،١٣٩٩)،٣٣٥/١.

(٦) سورة الحجرات، آية :٦.
(٧) الترمذي، مرجع سابق،ح٢٦٥٧،أبواب العلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع،٣٣١/٤، وقال: حديث حسن صحيح.
(٨) النسائي، مرجع سابق،ح٥٨١٦،كتاب العلم، الحث على إبلاغ العلم،٣٦٣/٥.
(٩) صحيح مسلم، مقدمة الإمام مسلم، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ،١٥/١.
(١٠) صحيح البخاري، مرجع سابق، ح(٥٣٠٥)،كتاب العلم، باب: إذا عرض بنفي الولد،١٣١/١٣.

النبي صلى عليه وسلم السائل على عتبة الإجابة، حتى يفقه بفكره ما كان يبحث عنه، وجاءفي الحديث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ) فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ إِبِلِي تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيَأْتِي الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ بَيْنَهَا فَيُجْرِبُهَا؟ فَقَالَ رسول الله صل الله عليه وسلم: (فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ) [١].

كما أن نصوص القرآن الكريم تطالب الإنسان بأن يضبط عواطفه وجميع انفعالاته، ويحتكم إلى الصدق والأمانة والعدل، فهذه المعاني هي طريق الحق دائماً وأبداً، قال تعالى:ا ﴿ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[٢]، فالله عز وجل يؤكد هذا الخبر التشريعي بحرف إن، ويفتتحه باسم الجلالة الذي يلقى الحرمة على هذا الخبر ويقوي دواعي الأمة لتلقيه والعمل به، ويخبر عن الاسم بالجملة الفعلية التي تفيد الأمر وتكرره[٣]، ونظير هذه الآية في القرآن الكريم كثير؛ يقول تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[٥].

وهذه المعاني الشرعية تدعو الإنسان إلى العناية التامة بفهم الحقائق، وهذا يقتضي بطبيعة الحال إلى عدم الاقتصار على ظواهر الأشياء وعوارضها، فالعبرة بالكيف والجوهر، وليس بالكم والمظهر، قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾[٦]، والقرآن بذلك يذم الذين يقفون على ظواهر الأسباب غير ناظرين إلى مسببها والمتصرف فيها.

٦- ضرب الأمثال:

والقرآن الكريم يكثر من هذا الأسلوب حتى يقرب الفهم على المتعلمين، قال ابن القيم-رحمه الله تعالى-: (... وضرب الأمثال، وصرفها في الأنواع المختلفة، كلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الْمُمَثَّلِ من الْمُمَثَّلِ به، وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلا تتضمن تشبيه الشيء بنظيره والتسوية بينهما في الحكم، قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾[٧]، فالقياس في ضرب الأمثال من خاصة العقل، وقد ركز الله في فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وإنكار التفريق بينهما، والفرق بين

(١) صحيح البخاري، مرجع سابق، ح (٥٧١٧)،كتاب العلم، باب: لا صفر وهو داء يأخذ البطن،٣٥٢/١٤.

(٢) سورة النحل، آية:٩٠.

(٣) انظر: محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام،ط٣(تونس:دارسحنون،٢٠١٠م)،صـ١٧٤.

(٤) سورة النساء، آية:٥٨.

(٥) سورة المائدة،آية:٨.

(٦) سورة الروم،آية:٧.

(٧) سورة العنكبوت،آية:٤٣.

المختلفين وإنكار الجمع بينهما) [١]، ولاشك أنه أسلوب ناجع، لأنه بطبيعة الحال سوف يستحث العقل على الحركة والتفكير، فمن المعلوم أن الشرك بالله يقابله التوحيد، والباطل يقابله حق أبلج، والضلال يقابله الهدى والنور، وأدلة ذلك في القرآن كثيرة؛ منها: قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[٢]، وقال سبحانه:﴿ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِيٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[٣].

وقد خاطب القرآن الكريم فكر الإنسان في أغلب الأمثلة التي جاءت فيه، قال تعالى:﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾[٥]، وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[٦]، ولو تأملنا ما ختمت به الآيات السابقة لأدركنا حكمة القرآن من ذلك.

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم،١(بيروت: دار الكتب العمية،١٩٩١م)،١١٦.

(٢) سورة فاطر،آية:١٩-٢٢.

(٣) سورة غافر،آية:٥٨.

(٤) سورة العنكبوت،آية:٤١.

(٥) سورة الحج،آية:٧٣.

(٦) سورة الزمر، آية:٢٧.

٧- استخدام القصة:

إن الأسلوب القصصي من الأساليب المشوقة والمحببة للإنسان، والموصولة للفكرة بأسرع طريق، وهذا الأسلوب يعتمد على فهم القصة ومن ثم استنتاج موضع العبرة منها، ولهذا الأسلوب أثره الكبير على النفس، وهو في الوقت ذاته موضع لاعتبار العقل والادّكار، ولذا ختم المولى سبحانه وتعالى قصة قوم لوط، بقوله تبارك وتعالى:﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٧]، وقال سبحانه:﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٨].

لقد قص علينا القرآن الكريم دعوة الأنبياء إلى قومهم بالتفصيل، فذكر المعجزات التي جاءت على أيديهم، وموقف المعاندين منهم، وبيان عاقبتهم، وذلك في مواطن متعددة من الكتاب الكريم؛ منها قوله تعالى:﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝٤٢ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٤ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝٤٥ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[٩] وقوله: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِي ۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[١٠].

(٧) العنكبوت،آية:٣٥.

(٨) سورة الأعراف، آية: ١٧٦.

(٩) سورة الحج، آية:٤٢-٤٦.

(١٠) سورة البقرة، آية:٣٣.

كما قص علينا القرآن الكريم أخباراً تتعلق بالأمم الغابرة، كقصة ذي القرنين، وأصحاب الكهف، وأصحاب الأخدود، والفيل وغيرها؛ بالإضافة للوقائع والغزوات، كغزوة بدر، وأحد، والأحزاب وغيرها، ولقد اشتهر القصص القرآني –على اختلافه وتنوعه– بأسلوبه الممتع الجميل؛ الذي فاق في سرده ونظمه وبيانه قدرة الإنس والجن، قال تعالى:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾(١)، وقال سبحانه:﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٢)، ولعل من المناسب أن نختم هنا بقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٣).

المطلب الثالث: أسلوب النهي والتحقير في رحلة بناء العقل:

١- **النهي عن السحر، والتحذير من التعلق بالسحرة والكهنة والعرافين:** وقد وقف القرآن الكريم من السحرة والمشعوذين موقف المتشدد، وذلك عندما نزل بهم إلى دركات الشرك والمشركين، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾(٤)، قال الشيخ حافظ الحكمي: (وَهَذَا الْوَعِيدُ لَمْ يُطْلَقْ إِلَّا فِيمَا هُوَ كُفْرٌ لَا بَقَاءَ لِلْإِيمَانِ مَعَهُ، فَإِنَّهُ مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا ويدخل الْجَنَّةَ، وَكَفَى بِدُخُولِ الْجَنَّةِ خَلَاقًا، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ) (٥)، وقال عليه الصلاة والسلام: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (٦).

كما نفت نصوص الوحي أن يكون للنجوم أي تأثير على ما كتبه الله سبحانه وتعالى وقدَّره، فقال عليه الصلاة والسلام:(مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ) (٧)، وقال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخَوِّفُ بِهَا عِبَادَهُ) (٨).

٢- **ذم التقليد الأعمى:** وقد تعمدت أن أصف التقليد المذموم بالعمى، لأن محاربة الوحي للتقليد كان مقتصرا على التقليد في الباطل والخرافة والهوى، فالقرآن يذم متابعة الآباء والأجداد على أفعالهم

(١) سورة يوسف،آية:٣.
(٢) سورة آل عمرآن، آية:٦٢.
(٣) سورة يوسف،آية:١١١.
(٤) سورة البقرة،آية:١٠٢.
(٥) حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، (الدمام: دار ابن القيم،١٤١٠هـ)،٥٤٤/٢.
(٦) صحيح مسلم، ح (٢٢٣٠)،كتاب السلام، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَهَانَةِ وَإِتْيَانِ الْكُهَّانِ،٣٥/.
(٧) سنن أبي داود، مرجع سابق، ح (٣٩٠٥)،باب النجوم،٣٣٩/.
(٨) صحيح البخاري، ح(١٠٤٨)، كتاب الجمعة، باب: قوله تعالى(فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) ،٤٦٤/٢.

بدون دليل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾(١)، وقال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٢)، وقد أشاد القرآن الكريم بمناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه، وتفوقه عليهم بالحجج، فقال: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾(٣)، وهي حجج علمية قائمة على التجربة بحاسة السمع؛ كما كان عليه السلام يستحث فيهم الفكر لمشاهدة الباطل والتعقل، فقال تعالى:آ ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ۝٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ۝٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ۝٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾(٤).

كما جاء النهي عن التقليد المذموم في تراث المسلمين، حتى أصبح ذلك مترسخا في عقولهم، ومن جملة ذلك ما جاء في الحديث: (لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا) (٥)، وقد حكى لنا القرآن إمعة قوم موسى عليه السلام عندما سألوه بأن يجعل لهم إلهاً غير الله؛ لمجرد أنهم رأوا قوماً يفعلون ذلك، فقال سبحانه: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ۝١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٦).

٣- **النهي عن التعالم:** فالقرآن الكريم ينهى عن التصدر للناس بالتعليم، والتدريس، والفتيا، قبل أن يتلقى الإنسان العلم عن العلماء على أصوله وقواعده، فهذا الفعل مذموم في نصوص الوحي، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾(٧)، وقد سبق معنا الإشارة إلى شيء من ذلك في المبحث السابق، حيث العناية بحقائق الأمور وجوهرها، ولا شك أن مطالبة القرآن بالحقيقة في تلقي العلم ونشره من آكد المطالب، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾(٨)، وقال سبحانه: ﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن

---

(١) سورة البقرة،آية:١٧٠.

(٢) سورة لقمان،آية:٢١.

(٣) سورة الأنعام،آية:٨٣.

(٤) سورة الشعراء،آية:٦٩-٨٢.

(٥) سنن الترمذي، ح(٢٠٠٧)، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو) ٤٣٢/٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٦) سورة الأعراف،آية:١٣٨-١٤٠.

(٧) سورة الأعراف،آية٣٣.

(٨) سورة البقرة،آية:١١١.

كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾[١]، وربما احتكم في بعض تلك المطالب إلى العقل، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

وليس النهي عن التعالم مقصوراً على العلوم الشرعية، بل هو نهي عام يشمل جميع أنواع العلوم، يقول صلى الله عليه وسلم:(مَنْ تَطَبَّبَ، وَلاَ يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ، فَهُوَ ضَامِنٌ) [٣]، فالشرع يُلزم هذا المتطفل على مهنة الطب بضمان التَّلَف، قال الخطابي: (لا أعلم خلافاً في أن المُعالِج إذا تعدَّى فتلِف المريض كان ضامِنًا والْمُتَعَاطِي عِلْمًا أو عَمَلًا لا يَعْرِفهُ مُتَعَدٍّ، فإذا تولد من فعله التَّلف ضَمن الدِّية وسقط الْقَوَد عنه لأنه لا يَسْتَبِدّ بِذَلِكَ دُون إِذْن الْمَرِيض، وجناية الطبيب في قول عامَّة الفقهاء على عاقِلته) [٤].

وكما أن الحجر واجب على كل مفلس لصالح الجماعة ؛ فالمتعالم أو العالم الماجن يُحجَر عليه من الفتيا لصالح الأديان، والطبيب المتعالم يحجر عليه لصالح الأبدان، والمهندس المتعالم يحجر عليه لصالح البلدان. [٥] .

٤- **التحذير من الغرور:** يقول تعالى:﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[٦]، والمقصود بالغرور: كل ما يغرّك من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسّر بالشيطان، وبالدنيا لأنّها تغرّ وتمرّ، وأَما الشيطان فإِنّه أَقوى الغارّين وأَخبثهم[٧].

والآيات التي جاءت بذم الغرور كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[٨]، وقوله تعالى:﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾[٩]، وقال سبحانه:﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّـٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾[١٠]، وقال: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[١١].

كما ذكرت الآيات القرآنية قصة قارون الذي بالغ في تقدير حجم ثرواته، كما هي عادة المغرورين، يقول تعالى: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ

(١) سورة الأحقاف، آية:٤.

(٢) سورة آل عمرآن،آية:٦٥-٦٦.

(٣) سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ح(٤٥٨٨)،كتاب الديات، باب: فيمن تطبب بغير علم فأعنت،(بيروت: دار الكتاب العربي ٣٢٠/٤، وحسنه الألباني، مرجع السابق،(٦٣٥).

(٤) انظر: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، عون المعبود شرح سنن أبي داود،ط٢(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ)، ٢١٥/١٢.

(٥) بكر بن عبدالله أبو زيد، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، دار العاصمة للنشر والتوزيع،صـ١٣.

(٦) سورة لقمان،آية:٣٣، وسورة فاطر،آية:٥.

(٧) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار ،(القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦م)، ١٢٩/٤.

(٨) سورة النساء،آية:١٢، وسورة الإسراء، آية: ٦٤

(٩) سورة آل عمران، آية: ١٩٦-١٩٧.

(١٠) سورة فاطرة، آية:٤٠.

(١١) سورة آل عمرآن، آية: ١٨٥، سورة الحديد، آية: ٢٠.

ٱلْآخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًاۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]، ولك أن تتخيل حجم تأثير هذه القصة على فكر الإنسان ووجدانه، لاشك أنها موعظة بليغة يتعلم منها الإنسان أهمية التواضع.

٥- **النهي عن الفخر والخيلاء:** وقد جاء في العصر الحديث مصطلح العنصرية، وجميع تلك المصطلحات- قديمها وحديثها- تخالف في أصلها ومضمونها دعوة التوحيد التي جاء بها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءًۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ ﴾[٣]، وقال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٤]، وقال عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخْرَهُمْ بِرِجَالٍ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ) [٥]، كما أبطل النبي صلى الله عليه وسلم بفعله ما كان مشهوراً عند العرب في جاهليتهم؛ بعدم إنكاح من هو دونهم في النسب، فعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها انكحي أسامة بن زيد فنكحته، وهي عربية قرشية بينما أسامة من الموالي رضي الله عنهم أجمعين.[٦]

لقد كان للقرآن الكريم أثره البالغ، وتأثيره العميق في توجيه عقل الإنسان وسلامته، وجملة تعاليمه تهدف إلى تكوين عقلية سليمة، وقد نثرتُ شيئاً من تلك الآثار في المباحث السابقة، ولابأس من جمع ما تفرق في مكان واحد، حتى تكتمل الصورة،

(١) سورة القصص،آية:٧٦-٨٣.

(٢) سورة النساء،آية:١.

(٣) سورة الحشر،آية:٢٨.

(٤) سورة الحجرات،آية:١٣.

(٥) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ح(٨٧٣٦)،مسند أبي هريرة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٣(مؤسسة الرسالة، بدون،١٩٩٩م)، ٣٤٩/١٤،وحسنه الأرنؤوط.

(٦) بمعناه، انظر: صحيح مسلم، ح(١٤٨٠)، كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها،١١١٤/٢.

فتظهر حكمة القرآن واضحة جلية، وذلك على النحو التالي:

١- استخدم القرآن الكريم أسلوب الحوار العقلي لإزالة بعض التصورات والأفكار الخاطئة، ومعلوم أثر ذلك على سلامة عقل الإنسان، ومثاله ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ۝٩٣ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ۝٩٤ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾[١]، وهو أسلوب قرآني حكيم؛ يعمل على إقناع العقل بالحق والنور المبين، فمن المعلوم أن الإنسان تبع لعقيدته، فإذا صحت فإنه يصح معها سائر أعمال الإنسان وتصوراته، فكان النتاج صحيحاً سليماً، والعكس بالعكس.

ومن استخدام القرآن الكريم للحوار العقلي[٢]، ما جاء في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾[٣]، قال الشوكاني عند تفسيره للآية: (أمر سبحانه رسوله أن يقيم عليهم حجة ينقطعون عندها، فقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي: أحذركم، وأنذركم سوء عاقبة ما أنتم فيه، وأوصيكم بخصلة واحدة، وهي: ُضخ ضم طح ظم عج ً هذا تفسير للخصلة الواحدة، أو بدل منها، أي: هي قيامكم وتشميركم في طلب الحقّ بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين، وواحداً واحداً، لأن الاجتماع يشوّش الفكر، وليس المراد القيام على الرجلين، بل المراد القيام بطلب الحقّ، وإصداق الفكر فيه، كما يقال: قام فلان بأمر كذا﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ في أمر النبيّ، وما جاء به من الكتاب، فإنكم عند ذلك تعلمون أن ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾[٤].[٥]

ولذا كان لعقيدة القرآن الكريم اليد العليا في تحرير عقل الإنسان من كل عوامل الخوف والتبعية، وأسهمت إسهاماً مباشراً في بناء شخصية إنسانية حضارية، قال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴾[٦] أي صدها عن حصول العلم النافع عبادتها الشمس فكانت بذلك الاعتقاد منصرفة عن الكمال العلمي، والرشد الفكري، واستكمال الحضارة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾[٧]، فجعل لحال اعتقادهم أثراً في زيادة هلاكهم[٨]، كما أن القرآن الكريم قد ذم الخرافة، والشعوذة، والتقليد في الباطل؛ مهما كانت منزلة المقلد وقرابته، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ

(١) سورة الصافات، آية:٩٣-٩٦.

(٢) انظر: الدعشي، مرجع سابق، صـ٢٤٩"بتصرف".

(٣) سورة سبأ، آية:٤٦.

(٤) سورة سبأ، آية: ٤٦.

(٥) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير،(دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب،١٤١٤هـ)٣٨٢/٤.

(٦) سورة النمل،آية:٤٣.

(٧) سورة هود،آية:١٠١.

(٨) محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، مرجع سابق،صـ٦.

ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾(١).

٢- القرآن الكريم يحث على استخدام البرهان في الحسيات، ويدعو إلى التثبت في النقليات، وليس ثمة كتاب خاطب العقل كالقرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢)، وقال تعالى:﴿لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (٣)، وقال: ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٤)، وقد سبق معنا عرض نماذج قرآنية تستحث سمع الإنسان وبصره على التفكر والاعتبار، وقد أثر ذلك في ثقافة المسلمين بالإيجاب، فوصلت حضارة المسلمين على النحو الذي يشهد له العالم أجمع.

٣- حث القرآن الكريم على العلم، وطلبه والاستزادة منه، قال تعالى:

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٥)، وقد نشر القرآن الكريم الكثير من أحوال الأمم وتاريخها، وهذا –بحد ذاته– له بعد ثقافي من شأنه أن يثري في الإنسان عامل الخبرة لا سيما في جانب العلوم الاجتماعية والتاريخ، بالإضافة إلى تنمية مهارة البحث والقراءة.

٤- دعوة القرآن إلى الإيمان بالحقائق الكبرى، كالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والإيمان بهذه الحقائق له أثره الواضح في سلوك الإنسان واستقامته في جميع أقواله وأعماله، بالإضافة إلى عوامل أخرى ستؤثر في عقل الإنسان ووجدانه، كقوة النفس، وسلامة الصدر، والحياة الطيبة السعيدة، وغيرها.

٥- لقد أسهمت نصوص القرآن الكريم في المحافظة على العقل، كما توجت نداءاته بتحريم كل ما يخامر العقل أو يغطيه، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٦)، ومعلوم أن العقل لا يعيش بمنأى عن الجسد، ولكل عضو تأثيره في الآخر، ولذا جاءت تعاليم القرآن لتغذي روح الإنسان وعقله، وتعمل على ترشيد غرائزه ونوازعه، فحمت بذلك العقل وسائر مصالح الإنسان وضرورياته، فالقرآن الكريم قد أباح النكاح، والاستمتاع بالشهوات الحلال، وأكل الطيبات، وأخذ الزينة، ودعا إلى الرفعة والارتقاء في درجات الكمال والجمال، فقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾(٧)، وحرم في مقابل ذلك النزول إلى دركات الكفر، والشرك بالله، والزنا، ونهى عن الفرقة والتنازع، وسائر المعاصي والآثام، وكان واقعياً بفرضه للعقوبات، فمن الناس من لا يردعه خلق ولا دين عن التجاوز والطغيان، فهنا تتدخل عدالة السماء بقوتها الرادعة(٨)، قال

(١) سورة المادة،آية:١٠٤.
(٢) سورة البقرة،آية:٧٣.
(٣) سورة الأنعام،آية:٩٨.
(٤) سورة الجاثية،آية:١٣.
(٥) سورة طه،آية:١١٤.
(٦) سورة المائدة،آية:٩٠.
(٧) سورة الشمس،آية:٧-٩.
(٨) قال ابن القيم: (وأما معاقبة السارق بقطع يده وترك معاقبة الزاني بقطع فرجه ففي غاية الحكمة والمصلحة، وليس في حكمة الله

تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾(١).

وقد ذهب الإسلام في سبيل محافظته على الضرورات الخمس لخطوات مكملة لها، من شأنها أن تحمى تلك التشريعات وتحوطها بالحفظ والرعاية، فنلمس مثلاً من تشريع الأذان –وهي شعيرة ظاهرة للعيان– نموذجاً مكملاً لحفظ الصلاة وأمر الدين، كما نلمس من العدل في تماثل القصاص العين بالعين والسن بالسن، ضرورة مكملة لحفظ الأنفس، ونلمس من الإسلام أيضاً المبالغة في حفظ العقل عن كل وسيلة من شأنها أن توثر فيه بخلل، ولذلك يحرم القليل من الخمر ولو لم يسكر لأنه يدعو إلى الكثير المضيع للعقل، قال صلى الله عليه وسلم: "مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ"(٢)، وفي سَنِّ الإسلام للكفاءة بين الزوجين مدعاة إلى حسن العشرة ودوام الألفة واستمرار الحياة بين الزوجين، وقد أباح في سبيل ذلك النظر إلى المخطوبة الأجنبية تتمة لحفظ البيت الزوجي وحمايته من فاحشة الزنا، وكل ذلك من مكملات الإسلام لحفظ ضرورة النسل، كما أن في تحريم الإسلام لأنواع من البيوع كالنجش والاحتكار ضرورة مكملة لحفظ المال. (٣)

فالقرآن الكريم يسعى لاستثارة الإيمان الكامن والمستقر في فكر المسلمين و وجدانهم، حتى يكون هو الموجه الأوحد لضبط تصرفاتهم وأخلاقهم، ولا يقصد من تشريعه للحدود إقامة شرطي يحصي على الناس أخطاءهم، بل هو دين يحث على الستر، وقد كان عليه الصلاة والسلام يوجه كل من جاءه مذنباً إلى الاستغفار والتوبة، وربما أعرض عن سماع الاعترافات تعريضاً بالمعترف بأن لديه في التوبة مندوحة، كما كان يتلمس للشبهات ما يدرأ به الحد عن المذنب، وعندما تستوفي الجريمة شروطها فلا يتبقى من إقامتها بُدٌّ، فإنه يقيم شرع الله حتى لا

ومصلحة خلقه وعنايته ورحمته بهم أن يتلف على كل جان كل عضو عصاه به فيشرع قلع عين من نظر إلى المحرم وقطع أذن من استمع إليه ولسان من تكلم به ويد من لطم غيره عدوانا ولا خفاء بما في هذا من الإسراف والتجاوز في العقوبة وقلب مراتبها وأسماء الرب الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الحميدة تأتي ذلك وليس مقصود الشارع مجرد الأمن من المعاودة ليس إلا ولو أريد هذا لكان قتل صاحب الجريمة= =فقط وإنما المقصود الزجر والنكال والعقوبة على الجريمة وأن يكون إلى كف عدوانه أقرب وأن يعتبر به غيره وأن يحدث له ما يذوقه من الألم توبة نصوحا وأن يذكره ذلك بعقوبة الآخرة إلى غير ذلك من الحكم والمصالح)، مرجع سابق، إعلام الموقعين، ٨٢/٢.

(١) سورة المائدة،آية:٤٥.

(٢) الترمذي، مرجع سابق، ح١٨٦٥، أبواب الأشربة، باب: ما جاء ما أسكر كثيره فقليله حرام،٤٤٢/٣، وأبوداود، مرجع سابق،ح٣٦٨١،كتاب الأشربة، باب: النهي عن المسكر،٣٢٧/٣، محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، سنن ابن ماجه،ح٣٣٩٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، أبواب الأشربة، باب: ما أسكر كثيره فقليله حرام، (بدون: دار الرسالة العالمية،٢٠٠٩م)،٤٧٥/٤، من حديث جابر بن عبدالله- رضى الله عنه- وحسنه الترمذي.

(٣) انظر: محمد عبدالعاطي، مرجع سابق، صـ١٠"بتصرف".

يصبح التراخي عندها تفريطاً بحق الله تعالى وحق العباد والمجتمع ككل[١].

وهناك حِكَم كثيرة، وغايات نبيلة لا يسع المقام لذكرها، ولا تفطن العقول لحصرها، وإن كان يكفينا من ذلك أن نقف على دور تلك الأساليب القرآنية في رفع مستوى الحس الرقابي للإنسان، وكيف عملت على انتشاله من عالم الخرافة والجهل إلى دنيا واقعية حيث العلم والنور، وفتحت له المجال للتطوير والإبداع، وفي فترة وجيزة، انتظم حال العرب، وأصبحت لهم حضارة ومجد بعد أن كانوا يتخبطون في ظلمات الجهل والخرافة، والفرقة والضعف، فالحمد لله رب العالمين.

ونختم هذه الجولة بجمع ما خلصنا إليه من خلال هذه الدراسة، وهي النتائج التالية:

١- يؤسس القرآن الكريم لبنية حضارية راقية، وإذا ما أردنا لعقولنا أن تنمو، وأفكارنا أن تزدهر، فإن علينا أن نتمثل مبادئه وقيمه.
٢- لقد كان للعقل دور كبير في تلقي نصوص الوحي وفهمها.
٣- أن النهوض بعقل الإنسان على مبادئ القرآن الكريم يساعدنا على فهم الدين الذي ننتمي إليه.
٤- لقد أسهم الأسلوب القرآني الحكيم في بناء شخصية متميزة للمسلم.
٥- يشيد القرآن الكريم بدور العقل الهام في تلقي العلوم والمعارف، وهو دور مكمل لوظيفة الحواس، والإنسان مع ذلك لا يستغني عن معونة الله حتى يُكتب له التوفيق.
٦- يعتبر العلم وسيلة من الوسائل النبيلة التي يحث عليها القرآن الكريم، ويؤكد على ربطها بالعمل، حتى يحقق العبودية لله تعالى.
٧- تحتل القراءة مكان الصدارة في تراث المسلمين، وهي وسيلة هامة لتنمية عقل الإنسان وتطوير ملكاته.
٨- لم يفرض نظام الوحي التشريعي قيوداً على العلم، إلا في حال خروجه عن غاية الإصلاح في الأرض.
٩- تلتقي جميع انواع العلوم والمعارف المختلفة مع علوم الشريعة تحت مظلة الإسلام، وذلك في حال التزام تلك العلوم بأحكامه وتصوراته.
١٠- لا يقتصر مفهوم العبادة في القرآن الكريم على أداء شعائر الإسلام التعبدية فحسب، وإنما يشمل جميع أعماله، ونشاطاته، ما دام يتوجه بها إلى الله تعالى.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

-أبوبكر محمد بن عبد الله ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر.

-أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ح(٨٧٣٦)،مسند أبي هريرة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون،ط٣(مؤسسة الرسالة)،بدون،١٩٩٩م.

(١) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، (القاهرة: دار الاعتصام،١٩٧٨م)٥١،"بتصرف".

-أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين بن سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث،١٩٨٤م.

-أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر،١٩٧٩م ،٩١/٢.

-أحمد محمد حسين الدعشي، نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية دمشق: دار الفكر،٢٠٠١م.

-إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، مسند إسحاق، تحقيق: د.عبدالغفور البلوشي، المدينة المنورة: مكتبة الإيمان.

-إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة،ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع،١٩٩٩م.

-بكر بن عبدالله أبو زيد، التعالم وأثره على الفكر والكتاب، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

-جمال عبد العزيز، مصدرية القرآن والسنة للمعرفة، على الرابط: https://vb.tafsir.net/tafsir16002/#post78798.

-حافظ بن أحمد بن علي الحكمي ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، الدمام: دار ابن القيم،١٤١٠هـ.

-الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد،ط٥،بدون:دار الجيل،١٩٨١م.

-الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان الداودي، دمشق، بيروت: دار القلم، والدار الشامية،١٤١٢هـ.

-راجح عبدالحميد الكردي، نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، الرياض: دار الفرقان للنشر والتوزيع،٢٠٠٤م.

-سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،١٤٢٣هـ.

-سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبو داود، بيروت:دار الكتاب العربي.

-صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، بيروت: دار الهلال،١٤٢٧هـ.

-عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة،٢٠٠٠م.

-عبدالكريم بكار، تجدد الوعي،ط٣دمشق:دار القلم،٢٠١٠م.

-عماد الدين خليل، التفسير الإسلامي للتاريخ، ط،٣،بيروت:دار العلم للملايين،١٩٨١م.

-عمر ابن شبَّة، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم شلتوت، جدة ،١٣٩٩.

-القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

-مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار ،القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦م.

-مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية،١٩٧٩م.

-محمد الأمين بن المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق: تحقيق مكتب البحوث والدراسات، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٥م.

-محمد الأمين الشنقيطي، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ،تحقيق:خالدالسبت،ط٢،مكة المكرمة: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ،١٤٢٦هـ.

-محمد الأمين الشنقيطي، مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧م.

-محمد الأمين الشنقيطي، مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر.

-محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤)

-محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة.

-محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، ط٣تونس: دار سحنون، ٢٠١٠م.

-محمد بكر إسماعيل، دراسات في علوم القرآن، ط٢، بدون: دار المنار، ١٩٩٩م.

-محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم (بيروت: دار الكتب العمية،١٩٩١م).

-محمد بن أبي بكر ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٨.

-محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق: محمد زهير، بيروت: دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ.

-محمد بن علي الشوكاني، تفسير فتح القدير، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ١٤١٤هـ.

-محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، تفسير مفاتيح الغيب،ط٣، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.

-محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار المغرب ،١٩٩٨م.

-محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر.

-محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت: دار إحياء التراث.

-محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

-محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، أبواب الأشربه، دار الرسالة العالمية،٢٠٠٩م.

-محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، القاهرة: دار الاعتصام،١٩٧٨م.

-محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، عون المعبود شرح سنن أبي داود،ط٢،بيروت:دار الكتب العلمية،١٤١٥هـ.

-محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: دار الحديث،١٩٩٦م.

-محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف.

-مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث.

-مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ط٣، دمشق: دار القلم، ٢٠٠٥م.

Quran Style in the Wisdom of Human Mind
(English Abstract)

Ali bin Mohammed bin Ibrahim Shihab

Abstract Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon Muhammad and his family and companions.

The research question is Quran Style in the Wisdom of Human Mind Structure. By its nature, the research has been divided a preface, an introduction, four chapters and a conclusion and an appendix for resources, references, and table of content.

The introduction tackles the question, its importance, reasons for its choice, research plan and approach.

The preface contains a brief presentation on human expected role on earth according to Holy Quran.

The study aims at exploring the Quran style and its role in human mind's structure and safety.